اللغة ليست مجرد وعاء ولكنها تجسيد للثقافة

□ ينشأ الشعر حيث تنفتح مغالق النفس بالحنين والذكرى والعشق والحماسة والمثال :
○ تندفع الخطابة ساعة يدعو موقف خطير إلى التحول أو التشبث أو الاحتدام.
○ تنمو الكتابة في مناخ استقرار الأمة وانتظام أمور الدولة وازدهار السلطة وتأمين الاتصالات بمختلف القطاعات، وتعبيراً عن الخواطر والتأملات الذاتية في المجتمع والكون، لذا بدا طبيعياً أن يتدرج الأدب العربي زمنياً بنشأة الشعر، فالخطابة، تبعاً لتدرج الشعب العربي من الطفولة، فالمراهقة، فالشباب.
○ الشعر يقتضي تفجر مشاعر وانديا خيال.
○ الخطابة تستدعي إقناعاً وتوجيهاً في موقف خطير.
○ ثمة عوامل حضارية وفكرية واجتماعية لها علاقة بتطور نوعية الكتابة وازدهار أساليبها، وكل هذه العوامل ليست بمعزل عن ظروف الحياة الإنسانية المحيطة بها، بل إن ارتباطها بواقع الحياة الاجتماعية أمر بالغ الوضوح.

هايل علي المذابي

إن المتأمل لتطور الكتابة العربية خلال القرن الأخير يلحظ ذلك التنوع الهائل في الأساليب ومفاهيم البلاغة والتزيين ودرجات التكرار والمبالغة ونوعية الصور والرموز وتقلص الفجوة بين لغة الكتابة والكلام، بل إن هناك ميلاً واضحاً نحو الدقة والاقتضاب في الكتابات الجديدة.

إن لغة جيل النهضة الأول من ناصيف اليازجي وبطرس البستاني والطهطاوي، تختلف عن جيل مطلع القرن من أمثال جبران ونعيمة وغيرهم، وكلاهما يختلف اختلافاً شاسعاً عن لغة الجيل الحاضر.

واللغة كلما تغيرت - نتيجة تفاعل عوامل معينة في عصر من العصور - تغيرت علاقة الإنسان بها، وقد نشأ ميل واضح للابتعاد عن التعبيرية التزيينية من أجل ذاتها والاقتراب من الذرائعية القائمة على المنهجية والاقتضاب والدقة في أداء المعاني والتنوع بتنوع الاختصاصات.

ومع أن العرب لا يزالون يميلون إلى التعبيرية شأنهم في ذلك شأن شعوب العالم الثالث، فإن الكثير من التعميمات المبسطة التي يطلقها بعض المستشرقين تنم عن جهل بتطور علاقة العرب بلغتهم، ومن هذه التعميمات ما قام بترجمته أحد الباحثين العرب :

يقول باحث نفسي هو أي . شوبي (E. shouby) في مطلع الخمسينيات، إن «الأفكار التي تعبر عنها اللغة العربية هي غامضة ويصعب تحديدها»، وأن هناك نزعة في التعبير العربي «تجعل الفكرة تتناسب مع الكلمة بدلاً من جعل الكلمة تتناسب مع الفكرة فتصبح الكلمات بدائل للأفكار وليس تمثيلاً لها»، وأن النزعة التحليلية ضعيفة في الثقافة العربية فيجري التشديد على الأصوات ويقرأ الإنسان في اللغات الأوروبية كي يفهم، أما في العربية فالإنسان يجب أن يفهم كي يقرأ، وتمتلئ اللغة العربية بصيغ التوكيد والمبالغة والتشديد على التفاصيل دون إعطاء صورة منظمة ومفهومة للكل، فإذا قال عربي ما يقصد تماماً دون المبالغة المعهودة، قد ينكر العرب الآخرون أن يقصد العكس.

وتتكرر هذه التعميمات المجحفة التي تقرب من «العنصرية» في كتابة عدد من الصهيونيين الذين دأبوا على تشويه صورة العرب وثقافتهم في الغرب، يقول أحدهم مكرراً التعميمات نفسها مؤكداً أن من سمات العقل العربي أنه يؤخذ بالكلمات أكثر من الأفكار، والأفكار أكثر من الحقائق، وهناك - أيضاً - محاولات للنيل من الثقافات غير الغربية فتقول مجلة التايم في مقالة لها حول العقلية الآسيوية «أن الآسيويين بشكل عام قادرون على الاعتقاد أن الشيء ذاته في آن معاً جيد وسيء، صواب وخطأ، أسود وأبيض، قريب وبعيد، وبأسلوب يذهل العقلية الغربية».

وقبل نقاش هذه التعميمات أضيف شيئاً من كلام بعض المتجرئين على اللغة العربية، التي يزعمون أنها لغة شائخة منزوفة الطاقة والمائية، لا تنهض بفكر ولا تجري في مضمار الحضارة إلى غايتها حتى تلهث ويبطل فيها نبض الحروف وهي عند آخرون لغة جاءت والصعوبة على موعد، فالقاعدة فيها عصية لا تلين، والقانون النحوي إدراكي مثقل لا يتفق والاستجابات العفوية، وبعضهم يقول إنها لغة مريضة عقيمة، والكثير الكثير من الانتقادات القاصرة المبنية على قواعد من الجهل والتي لا يتسع المجال لذكرها.

إن هؤلاء المتعجرفين لم يعرفوا ولم يسألوا أنفسهم لماذا أنزل الله القرآن باللغة العربية؟! ولم يطلعوا على الكتب العربية في اللغة ككتب ابن جني وابن فارس والأصمعي والأنصاري وكتب الخليل... الخ، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الله سبحانه وتعالى عندما أنزل القرآن الكريم جعل أول آية تنزل هي «اقرأ» ولم يقل افهم، وحيث أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان أمياً، فالخطاب كان عاماً شأنه في ذلك شأن بقية آيات القرآن الكريم.

وإن صح ما أورده أولئك المتقحمون على اللغة العربية وعلى العرب، فهو ناشئ وناتج من أننا نحن العرب لم نعرف لغتنا الأم ولم نعرف خصائصها وسمات لغة القرآن الكريم وجهلنا قواعدها ومميزاتها نتج عن ذلك سوء الفهم لها ومعاداتها والفرار منها نحو العامية بالشكل الرئيسي، وبهذا أصبحت معرفتنا لهذه اللغة قبل معرفة أولئك المستشرقين والصهاينة معرفة سطحية، ونتيجة لهذه الأخيرة تولد العجز عن الرد على الطاعنين في لغة القرآن الكريم وفي العقل العربي، ففقدان المعرفة يولد فقدان التعريف وفاقد الشيء كما نعلم لا يعطيه.

إن من يتابع التعليقات الغربية، سواء التي قدمتها أو غيرها، سيلاحظ أن هذه الأخيرة تصف السلوك ذاته سيئاً إذا قام به الآخرون وجيداً إذا قاموا هم به.

إن حروب التحرير في تاريخ الغرب بطولة، وإرهاب إذا قامت به إحدى شعوب العالم الثالث، وقد أورد شوبي الرواية التي تقول إن قاضياً عربياً فقد منصبه لأن سيده أراد أن يتلاعب بالكلمات «أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم»، وهم يتخذون من ذلك دليلاً على مقولتهم بأن الكلمة عند العرب بديل وليست تمثيلاً للفكرة أو الشيء.

وجاء في جريدة (الواشنطن بوست) أن أحدهم واجه محامياً بعد أن أنهى دفاعه بأنه كان متناقضاً مع نفسه، فأجاب هذا المحامي : «ليس المهم التناقض، المهم هو أن يزيح القضية».

ماذا يقول الأمريكي لو قيل له بناءً على هذه الحادثة أن الثقافة الأمريكية تعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة؟

المهم أن الثقافة العربية تشمل اتجاهات مختلفة ومتناقضة في بعض الحالات تغلب النزعة التعبيرية، فيقول العربي «حلاوة الإنسان في حلاوة اللسان»، إنما في حالات أخرى فقد تغلب النزعة الذرائعية فيقول العربي نفسه «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب»، وكثرة الكلام خيبة وقلته هيبة، و«من كثر كلامه قل احترامه» و«البلاغة ما قل ودل»، وكما يكون الكلام غامضاً أو تزيينياً في بعض الحالات، يكون واضحاً مقتضباً في أداء رسالته في حالات أخرى، وكما يؤخذ العرب بالكلمات (شأنهم في ذلك شأن سائر الشعوب)، يؤخذون - أيضاً - بالأفكار والحقائق، وإذا ما غلبت ناحية على أخرى، فإن ذلك يتم نتيجة لقوى وأوضاع ومناسبات تصدق على جميع الثقافات ولا تكون الثقافة العربية استثناء، وكما يُسحر العرب باللغة، كذلك تُسحر سائر الشعوب في ظروف مماثلة.

إن اللغة في مختلف الثقافات ليست مجرد وسيلة أو وعاء، إنها - أيضاً - تجسيد للثقافة ذاتها.

ساحة خضراء

المطربون الفقاعات

على ما يبدو أن ظاهرة المطربين.. الفقاعات ليست ظاهرة محلية فحسب لكنها عربية الإنتماء والمنشأ.. تبدأ الظاهرة بالظهور فجأة والاختفاء بغمضة عين بسرعة الصاروخ تشيد الشارع. وبسرعة البرق يختفون..

يكفي أن تلقي نظرة على أي استريو لبيع أشرطة الكاسيت وتكتشف وللوهلة الأولى أن أغلب المطربين الفنانين يمنيون - وفنانات أسماء عديدة غير موجودين في الساحة. والأغلب سجل شريطاً واحداً ومن ثم اختفى من الساحة.. وعندما تستمع إلى الأغاني تجد أن الكلمات ما انزل الله بها من سلطان وألحان مسلوقة. واصوات نشاز.. وتسأل وبمرارة هل مرت هذه الأغاني على الرقابة أم جاءت على غفلة من الزمن والرقابة.

في مصر ظهر مثلاً أحمد عدوية كفنان شعبي واستمر سنوات وكان ملء الأسماع ولم يختف.. واليوم شعبان عبدالرحيم أو شعبولا ولا تزال أغانيه ومواويله، وله جمهوره وغيره من المطربين الشعبيين، وهكذا اصبح للأغنية الشعبية أرضية حيث تمكنت من اختراق المحلية إلى المستوى العربي الا الأغنية اليمنية والشعبية على وجه الخصوص الفنانون الشعبيون لا يزال الموجودون منهم يراوحون في اماكنهم ولو سألت عنهم في أي قطر عربي لاعتبروها نكته سامجة..؟

فؤاد عبدالقادر

دوامة العمر

علاء صمام

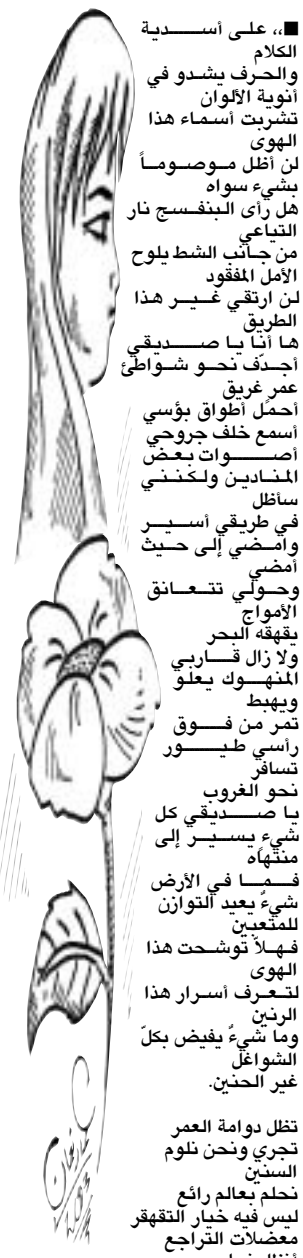

■.. على أسدية الكلام
والحرف يشدو في أنوية الألوان
تشربت أسماء هذا الهوى
لن أظل موصوماً بشيء سواه
هل رأى البنفسج نار التباعي
من جانب الشط يلوح الأمل المفقود
لن ارتقي غير هذا الطريق
ها أنا يا صديقي أجدّف نحو شواطئ عمر غريق
أحمل أطواق بؤسي
أسمع خلف جروحي
أصوات بعض المنادين ولكنني سأظل
في طريقي أسير وأمضي إلى حيث أمضي
وحولي تتعانق الأمواج
يقهقه البحر
ولا زال قاربي المنهوك يعلو ويهبط
تمر من فوق رأسي طيور تسافر
نحو الغروب
يا صديقي كل شيء يسير إلى منتهاه
فما في الأرض شيءٌ يعيد التوازن للمتعبين
فهلاّ توشحت هذا الهوى
لتعرف أسرار هذا الرنين
وما شيءٌ يفيض بكلّ الشواغل
غير الحنين.

تظل دوامة العمر
تجري ونحن نلوم السنين
نحلم بعالم رائع
ليس فيه خيار التقهقر
معضلات التراجع
أنظل نحلم
ولا نصنع شيئاً سوى الاحتراق سوى الإنتظار
أنت تعرف هذا المسار
تنوعت الأشواق والحب واحد
أفقرت الألحان وكادت
عناوينا أن تشيب
من فرط إرهاقنا
في السراب
أنا يا صديقي تشربت أسماء
هذا الشذى
لن أعود
لأنني صرت بعيداً جاوزت نصف المسافة
فدوامة العمر تمضي لكيلا نعود.

ضمن مناقشات ندوة «كاتب وكتاب»:

«ثوار ومشاغبون» محاولة لمحمد الشافعي للتواجد الادبي

■ ضمن مناقشات "كاتب وكتاب" التي تستعرض أهم الكتب التي تم إصدارها حديثاً، كان لكتاب "ثوار ومشاغبون" لمؤلفة محمد الشافعي نصيب للمناقشة نظراً لأهمية الكتاب لأنه "تطرق لبعض الشخصيات والرموز السياسية والاجتماعية والفنية، واختلف المشاركون في نقد الكتاب فيما بينهم حوله، ولكنهم اتفقوا في النهاية على أمر واحد هام، وهو أن الكتاب كان محاولة من محاولات المؤلف للتواجد الأدبي، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير، وأكدوا على أن الكتاب رصد رصداً دقيقاً للمتغيرات التي طرأت في أسلوب كتابة المؤلف، والذي بدأ في عرض كتابه، حيث أشار إلى أن هذا النوع من الإبداع الأدبي غير شائع في العالم العربي، حيث يعرف هذا النوع بأدب السيرة الغيرية الذي يتشابه بشكل كبير مع أدب السيرة الذاتية المعروف في الأدب الأوروبي.

▹ القاهرة/ الثورة/ من: غادة إبراهيم

وعقب الكاتب د.حسام عقل: أن المؤلف رغم براعة الموضوع وأهميته، إلا أنه لم يحسن اختيار الاسم المناسب للكتاب، لأن الاسم "ثوار ومشاغبون" دراسة في رواد الفن بعيد وغير مناسب لموضوع الكتاب الذي هو دراسة ممتعة عرف أكثر من عشرة رموز فكرية وفنية أثرت الحياة الفكرية في مصر أمثال "رفاعة الطهطاوي" و"كمال الطويل" و"أحمد زكي"، وكان هذا الكتاب من أغنى الكتب التي اتخذت من هؤلاء الرموز دراسة تحليلية، تذكرنا بكتابات "خليل نعيمة" عن شخصية "خليل جبران"، ولكن تبرز أهمية هذا الكتاب من حيث موضوعه الذي يتحدى به الفكر المسيطر على أدب القرن الحادي والعشرين، الذي مسخ الهوية العربية وحولها إلى صورة مشوهة، حيث أن الكتابة في هذا الوقت العصيب تعد محواً للأمية العربية المسيطرة على العقو ل في هذه الفترة من التاريخ الأدبي لتبدأ نقطة البعث والتجرد من الفكر الأمريكي المسيطر على الساحة الدولية، كما جاء في التقرير الأمريكي الصادر في إبريل الماضي، ويطالب بمحو ذاكره الشعوب وهيمنة الثقافة الأمريكية عليها أيضًا "البحث عن الخلاص بتجدد القدوة" خاصة في ظل الظروف المحيطة بالثقافة وأزمتها التي تتراكم في العقول قبل الكتب، حيث أصبحت العقول سطحية وثقافتها مشوشة، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الذي يساعد الشباب على فهم الحضارة العربية والمصرية، فهو يعرف القارئ العادي من هو "عبد السلام موسى" و"عبد الرحمن الشرقاوي" و"كمال الطويل" و"رفاعة الطهطاوي"، وأيضًا نلاحظ التنوع في الشخصيات والمجالات للرموز التي اتخذها الكتاب موضع دراسة مع عرض أهم المواقف التي شكلت فكر وإبداع وموهبه هؤلاء الرموز والفنانين.

ويضيف د.عقل: كما وضع الكتاب استعراضاً لبعض الأحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها هؤلاء الفنانين، وأثرت بهم مما يثري الكتاب بأحداث تاريخية مثل قضية الحريات المدنية التي قضى رفاعة الطهطاوي عمره في الدفاع عنها، والتي هي أيضًا قضية تشغلنا إلى يومنا هذا، فنحن إلى اليوم ندعو إلى الحرية في التعبير والحرية المدنية وحرية تبادل السلطة بين الأحزاب، فهذا يعد استدعاء لتراثنا لنستفيد به في حاضرنا، ويكفي أن يعرف شبابنا أن مصر هي أول بلدان العالم التي تطبق الحريات المدنية والدستورية، حيث أن البرلمان المصري هو خامس برلمان على مستوى العالم.

وأكد د.عقل له في ختام شهادته بقوله: إن هذا الكتاب بمستواه الأدبي الرفيع وبقيمة التي يبثها في شبابنا يعد تحفة فنية أدبية، وإن كان أغفل بعض الرموز العلمية، فكان يجب عليه الحفاظ على التوازن بين العلم والأدب، فأغفل بعض الرموز أمثال "د.أحمد زويل" و"د.مجدي يعقوب" و"د.مصطفى مشرفة" رائد علم الذرة المصري.

منهج علمي

وأعقبه في الحديث د.ياسر العدل الذي بدأ متسائلاً عن المنهج الذي اتبعه المؤلف في عرض أفكاره هل هو منهج علمي أم تاريخي أم أدبي، وأي منهج علمي اتبعه المؤلف لدراسة سيكولوجية هؤلاء الرواد ، كما اختلف معه حول تعريف المبدع والمثابر، فالمبدع هو من يكشف بواطن الجمال في العالم المليء بالشرور، والمثابر يشعر بالإحباط واليأس فيتمرد عليه ويحاول أن يغيره ، كما أن المؤلف استعرض رموزاً في حقبات تاريخية مختلفة ومجالات مختلفة، وكنت أفضل أن يتخصص في حقبة تاريخية معينة ويأخذها بالشرح والتحليل سياسيًا واجتماعيًا مع عرض لبانوراما عامة عن الإبداع في تلك الحقبة التاريخية.

اختيار الشخصيات

ومن ناحية أخري يرى الناقد د. "مدحت الجيار" أن الكتاب محاولة جيدة تستحق التقدير، فهي تعيد ذاكرة الأمة وتسترجع تراثها الإبداعي من خلال القاء الضوء على رموز أثرت الحياة الفنية والثقافية في مصر والوطن العربي شكلت بإبداعاتها وجدان وثقافة أمة بأكملها، كما أن الكتاب محاولة من محاولات المؤلف للتواجد الأدبي بعيداً عن جو الصحافة، وقد نجح إلى حد كبير في الخروج من جو الصحافة إلى جو الأدب وعالمه،، فهو رصد دقيق للمتغيرات التي طرأت في أسلوب كتابة المؤلف ، وأول هذه التغيرات هي اختيار الشخصيات التي ذكرها في الكتاب، وقد صنفها على عدة مستويات من الحرية والفكر، ولكن يجمعهم حقبة تاريخية وفكر محدد في حقبة "الرئيس السابق جمال عبد الناصر"، وجو من الفكر الليبرالي يلتقي في النهاية مع فكرة الحرية والنهضة.

ولهذا حينما تطرق الحديث إلى "فؤاد حداد" و"صلاح جاهين" وجاء بيرم التونسي ليكمل الثالوث كمصري، وليس تونسياً كآباء الشعر العامي في العصر الحديث ، كما يسيطر على الكاتب الفكر السياسي "الناصري" في كل فصول الكتاب، إلا أنه كان ذكيا في رصد منحنى الشخصيات الذين ينحدرون من أصول رفيعة، وكان اختيارهم لهذه الإبداعات اختياراً دقيقاً ومقصوراً أثروا بهذه الإبداعات فكر وثقافة، ووجدان أمة كانت هي المستفيد الأكبر منهم بالانتماء إليهم.

قصة قصيرة

باب السباح القديم

عبدالوهاب الضوراني

□ هناك، خلف الأكمة برزت جلية معالم جبل نقم، مدرجاته، مرتفعاته، مسالكه، حتى قلعته العثمانية بدت في الأفق كحدوة خيل جامح، فيما انبثقت أجواء رعدية وثمة مطر وشيك، ومن فوقة حانوت صغير موحش كزنزانة أو قبو معتم، تصاعدت ثرثرة صاحب بني مطر، تاجر مواشي السائلة وهو يخرج مقطباً واجماً، الجبل الأسطورة الجاثم هناك خلف أكمة بعيدة نائية تغشاها سحب ورذاذ مطر خفيف متقطع : لو هطل المطر مدراراً أفسد علينا تجارة يوم بأكمله.

على جانبي الطريق تناثرت حوانيت أخرى أكثر قدماً ووحشة كبقايا آثار حضارة سائدة منقرضة لعهد كهنوتي غابر يرتادها مارة وباعة وتجار مواشي يخطرون كأشباح أو مومياء في توابيت فرعونية يمارسون غالباً نشاطات تجارية تقليدية نادرة وأحياناً يتفيأون جذوع أشجار كافور هرمة أكثر قدماً وتهالكاً، فيما السائلة القريبة تحف بها ممرات المماشي برزت كآثار عثمانية مندثرة تحيط بها إفرازات بلاليع البيوت وتراكم روث الدواب، سمسرة وردة كعهدها تشغل حيزاً هائلاً مزدوجاً وتبدو هي الأخرى كمغارة مغولية أو معتقل كبير.

يقول أحد تجار القبائل وهو ينكمش إثر موجة برد قارسة وهو يدرأ عن وجهه دخاناً متصاعداً انبعث من فوهة مداعة تدلت أذيالها في حجرة : يا خبرة لا تنسوا مغادرة صنعاء قبل الغروب قبل موعد الإغلاق ومطاردة عسكر الإمام.

حالات الطوارئ في المدينة الجاثمة كالأخدود يسري عادة تطبيقه قبل الغروب كنوع احترازي من الإجراءات الأمنية الإمامية، ومن الضواحي والقرى المتاخمة استأنف تجار الضواحي والقرى والعزل تدفق قوافلهم إلى باب السباح لإفراغ حمولات دوابهم من البضائع والغلال، كانت الدواب وهي تزحف منهكة خائرة القوى تدب كسلاحف هرمة تكاد تلفظ أنفاسها، أحد السماسرة أقبل مبكراً ممتطياً جحشاً صغيراً لا يفتأ يلكزه صاحبه بقدميه حاثاً إياه بطريقة عنترية متباهية لاختراق أرتال المارة والباعة والمروجين، وكذلك أكوام السلع والبضائع النافقة المكدسة أرضاً وفي مخازن وحوانيت الوكلاء والمتعهدين : حو، حو جعل لعريج العمى، مش هكذا يا خبير.

إنه باب السباح القديم محاط به منازل أحجار البلك والسمسرة والمجزرة القديمة فيما هب أحد الرعية كالملدوغ متبرماً بنفاذ صبر مكفئاً عائداً أدراجه لا يلوى على شيء لاكزاً دابته حاثاً إياها للانطلاق، وهو يهذي مثرثراً في أعقابه بتزمزه وانفعال : حي، شد، حي سوق باب اليمن أو البلقة أرحم وأهون يا خبرة، فيما أرسل الحمال خلفه نهيقاً متوتراً متقطعاً انتهى بحشرجة كالبكاء.

كان رواد سمسرة وردة من تجار الضواحي تبدو على وجوههم السمراء الخشنة آثار جوع مزمن متفاقم أحدهم أردف وهو يشد لجام دابته لجذع كافورة ملتوية كأفعى : ضرائب الإمام يا خبرة قصمت والله ظهورنا، زكاة باطن ورسوم تنقل، دخل غاغة، والله غاغة وضرائب.

علي عزيز، حمّال باب السباح الصغير، انكب متربصاً كالحدأة منتهزاً ضوضاء السوق ونزاعات ومشاحنات ومزايدات الباعة والتجار فانقض كصقر يقظ على صندوق عنب بشراهة ونهم ثم ما لبث أن انتصب واقفاً وهو يتقيأ ويتلوى ألماً : آه، آه، وجع، بطني، يتوارى برهة داخل زقاق يحيط به مستنقع راكد مليء بإفرازات روث الدواب والأبقار وبلاليع المنازل المكشوفة مفرغاً أمعاءه هناك، دفعة واحدة من ميدان شرارة القريب ترددت أصداء إيقاعات عزف لعرض عسكري تقليدي لطابور الفيلق النظامي السادس يقوده قائد العرض المدعو البورزان الذي ينتمي لسلالة تركية من بقايا تعاقب الحملة العثمانية، في طريقهم لثكناتهم وثغورهم، مياه الغيل الأسود تنحدر رقراقة مندفعة كشلال جارف أو جدول صغير باعثة خريراً يعكر صفوه خوار أبقار الرعية وثرثرة نسوة متشحات الستائر مقلمة رثة ليرعين قطيع أغنام فوق الغيل، كن ينشدن مواويل وثمة مهاجن إيقاعية موسمية حزينة، ومن مقصورة دار البشائر شيع أحد ولاة بيت حميد الدين طابور الجندرمة قبل أن يتوارى عن الأنظار، فيما ارتفع من جامع قبة المتوكل القريبة آذان المغرب مؤذناً بموعد إغلاق أبواب المدينة.